

لِلْمَرَّةِ الثَّلَاثَةِ تَشَوَّقَتْ نَفْسُ السَّنْدِبَادِ الْبَحْرِيِّ لِلسَّفَرِ وَالْفُرْجَةِ وَالْمَكَاسِبِ فَاشْتَرَى كَثِيرًا مِنَ الْبِضَائِعِ الْمُنَاسِبَةِ لِلتِّجَارَةِ الْبَحْرِيَّةِ ثُمَّ غَادَرَ بَغْدَادَ إِلَى مِينَاءِ الْبَصْرَةِ، وَمِنْهَا اسْتَقَلَّ مَرْكَبًا عَظِيمًا بِهِ تِجَارٌ كِبَارٌ وَنَاسٌ مَلَاحٌ طَيِّبُونَ وَأَهْلٌ خَيْرٌ وَدِينٌ وَصَلَاحٌ وَمَعْرُوفٌ وَسَارَتْ الرَّحْلَةُ مِنْ بَحْرِ إِلَى بَحْرِ وَمِنْ مَدِينَةٍ إِلَى أُخْرَى وَالتُّجَارُ يَبِيعُونَ وَيَشْتَرُونَ وَهُمْ فِي غَايَةِ السُّرُورِ وَالْفَرَحِ. وَذَاتَ يَوْمٍ رَمَتْ الرِّيحُ بِالْمَرْكَبِ إِلَى جَزِيرَةٍ بِهَا سِلْسَلَةٌ جِبَالٍ فَإِذَا بِالرُّبَّانِ يَشُدُّ لِحِيَتَهُ وَيَلْطُمُ وَجْهَهُ وَيَطْوِي الْقُلُوعَ وَيُمَزِقُ ثِيَابَهُ وَيَبْكِي بِصَوْتٍ عَالٍ، وَهُنَا سَأَلَهُ السَّنْدِبَادُ بِلَهْفَةٍ: وَهُنَا سَأَلَهُ السَّنْدِبَادُ بِلَهْفَةٍ: مَا الْخَبْرُ يَا رَيْسُ؟ أَلِ الرُّبَّانُ وَهُوَ يَصِيحُ: اَعْلَمُوا يَا رُكَّابَ السَّلَامَةِ وَبِمَجْرَدِ أَنْ تَحْرَكَ الْمَرْكَبُ الْجَدِيدُ الْمَسْطُحُ لَاحَ لَهُمُ الْمَارِدُ وَهُوَ قَادِمٌ إِلَيْهِمْ فَلَمَّا رَأَهُمْ قَدِ ابْتَعَدُوا عَنْهُ دَاخِلَ الْمَاءَ مَالًا عَلَى حِجَارَةٍ ضَخْمَةٍ مُلْقَاةٍ قُرْبَ الشَّطِّ وَأَخَذَ يَقْدِفُهُمْ بِهَا دُونَ رَحْمَةٍ! بَعْدَ الْإِنْتِصَارَاتِ الْمَجِيدَةِ الَّتِي حَقَّقَهَا أَحْمَدُ بْنُ سَعِيدٍ عَلَى الْفَرَسِ فِي صَحَارِ